العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ١٣

العلاقة مع الآخر في نهج البلاغة

إعداد مكتبة الروضة الحيدرية

العلاقة مع الآخر في نهج البلاغة

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

تمهيد

يوجد ترابط وثيق بين الـ(أنا) و(الآخر)، حيث انّ الأنا تشكل هوية الإنسان المادية والمعنوية، كما انّ الآخر المخلوق بامكانه أن يكون مرآة للأنا، والسبب في تكوين هذه الهوية من خلال تفاعله الوراثي والبيئي والاجتماعي على الأغلب، وكذلك عامل رئيسي في تنظيم الحياة الاجتماعية، حتى قيل: «انّ الإنسان مدنيّ بالطبع» بمعنى انّه لا يتمكّن أن يعيش إلّا عبر المجتمع ووجود الآخر.

هذا ما دعانا إلى تنظيم هذه الحلقة من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» حيث نتعرّف على الآخر وكيفية التعامل معه من خلال نهج البلاغة، وما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام.

وسيتمّ في هذه الحلقة تقسيم الآخر إلى خالق ومخلوق، والمخلوق إما أن يكون مجتمعاً متكوناً من عدّة أشخاص، وإما أن يكون فرداً واحداً، وإما أن يكون شيطاناً، وإما أن يكون ما تحتويه البيئة من سائر المخلوقات.

ثم انّ المجتمع الإنساني إما أن يكون موالياً، أو مخالفاً ومعادياً ومفتتناً، أو متخاذلاً.

أما الفرد الواحد فهو أيضاً إما أن يكون نبياً ووصياً، وإما أن يكون حاكماً، وإما أن يكون محكوماً (رعية)، والحاكم إما أن يكون عادلاً أو ظالماً، والمحكوم إما أن يكون أيضاً موالياً أو مخالفاً، والمخالف إما أن يكون كافراً وذمياً، أو منافقاً، أو عدواً.

وسنتكلّم إن شاء الله تعالى عن هذه التفريعات للآخر ـ كما هو مبيّن في الجدول رقم (١) الآتي ـ كلّ في مورده.

***

الجدول رقم (١)

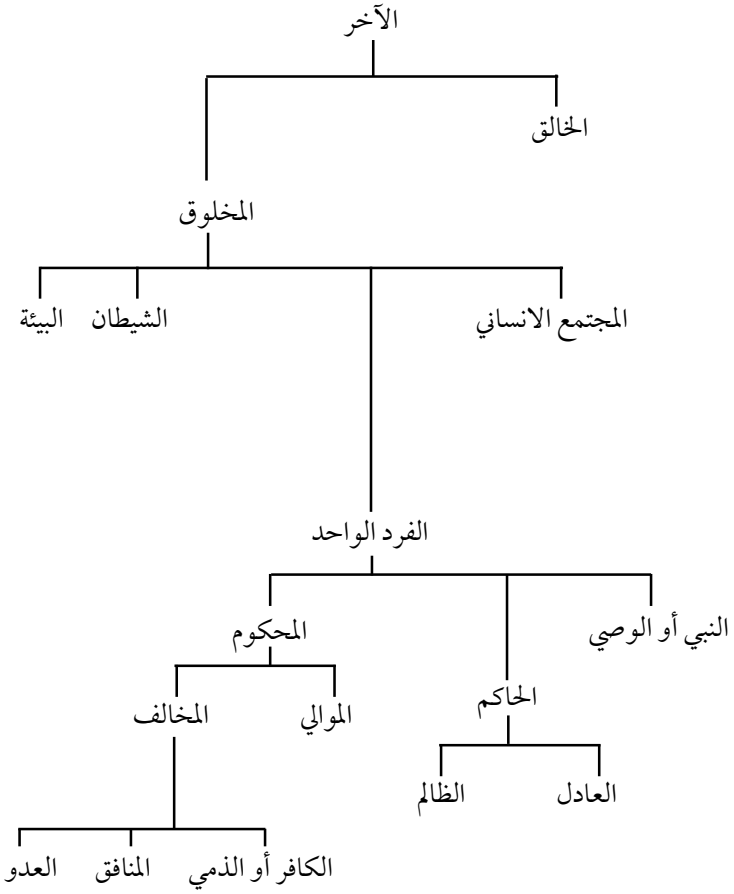
الآخر
الخالق
المخلوق
البيئة
الشيطان
المجتمع الانساني
الفرد الواحد
النبي أو الوصي
المحكوم
الحاكم
المخالف
الموالي
العادل
الظالم
العدو
المنافق
الكافر أو الذمي

ـ١ـ
الخالق

أ ـ الله تعالى هو المبدأ والمنتهى:

لابدّ وأن تكون العلاقة مع الله تعالى هي الأساس في حياة الإنسان، والمنطلق الوحيد لجميع أعماله، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده للأشتر: «**وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه**»(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «**من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين النّاس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه**»(٢)، وبنفس السياق قال عليه السلام أيضاً: «**من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين النّاس**»(٣).

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٤.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤١١.

إذن يجب على الإنسان في تعامله مع خالقه، أن يبدأ بإصلاح نفسه ليصبح الخالق هو المبدأ والمنتهى لجميع أعمال الإنسان، وهذا المنطلق هو الذي سيصلح للإنسان باقي أموره الأخروية والدنيوية، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام.

وبعكسه من يكون منطلقه منطلق الهوى والنفس، فإنّه سيخسر في آخرته ودنياه، وإن توهّم بعض النجاح في أموره الدنيوية التي لا تكون إلّا استدراجاً له وبلاء عليه، كما قال عليه السلام: «**لا يترك النّاس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح عليهم ما هو أضرّ منه**»[1].

ب ـ معرفة الله تعالى:

لابدّ للإنسان بعد مجيئه إلى الدنيا أن يعرف خالقه، إذ انّ «**أوّل الدين معرفته**»[2] لكن السؤال الذي يطرح نفسه بجد، انّ الإنسان هل يستطيع أن يعرف كنه الباري تعالى، وهل يتمكن أن يحيط به علماً؟!

ربما تختلف المدارس والمذاهب الكلامية في الأديان المختلفة في الإجابة على هذا السؤال، ونحن لسنا هنا بصدد البحث عن الأقوال والآراء والمناقشات المطروحة في هذا الأمر، وانّما الذي يهمّنا معرفة رأي

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة، إذ انّهم أمناء الله تعالى على وحيه ودينه، وهم أهل الذكر الذين أمرنا بالسؤال عنهم.

ولما نراجع كلام أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو سيد العترة ـ في نهج البلاغة، نرى انّه عليه السلام ينفي استطاعة الإنسان على معرفة كنه الباري تعالى، إذ يقول عليه السلام: «**الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن**»[1] وقال عليه السلام: «**لا تقع الأوهام له على صفة، ولا تعقد القلوب منه على كيفية**»[2].

وقال عليه السلام: «**هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرّأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولّهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته، ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب، متخلّصة إليه سبحانه، فرجعت إذ جبهت معترفة بانّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أُولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزّته... فأشهد انّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاق[3] مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٤.

(٣) الحقاق: جمع الحق – بالضم – وهو رأس العظم عند المفصل.

اليقين بأنّه لاندّ لـك، وكأنّـه لم يـسمع تـبرّؤ التّـابعين مـن المتبـوعين إذ يقولـون: ﴿تَـاللَّهِ إِنْ كُنَّـا لَفِـي ضَـلالٍ مُبِـينٍ إِذْ نُـسَوِّيكُمْ بِـرَبِّ الْعالَمِينَ﴾[1].

كذب العـادلون بـك، إذ شـبّهوك بأصـنامهم، ونحلـوك حليـة الـمخلوقين بأوهـامهم، وجـزّأوك تجزئـة الـمجـسّمات بخـواطرهم، وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم.

فأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بـك، والعـادل بك كافرٌ بما تنزّلت به محكـمات آياتـك، ونطقـت عنـه شـواهد حجـج بيّناتك، وإنّك أنت الله الّذي لم تتناه في العقول، فتكون في مهـبّ فكرهـا مكيّفاً، ولا في رويّات خواطرها [فتكون] محدوداً مصرّفاً»[2].

وقال عليه السلام: «فتبـارك الله الـذي لا تبلغـه بعـد الهمـم، ولا ينالـه حدس الفطن»[3].

وقال عليه السلام: «من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله ، ومن قال كيف فقـد استوصـفه ، ومـن قـال أيـن فقـد حيّزه»[4].

---

(١) الشعراء: ٩٧ - ٩٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٠.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٣.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٢.

وقال عليه السلام: «**الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته... لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبّهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثّلاً**»[1].

وقال عليه السلام: «**لا يدرك بوهم، ولا يقدّر بفهم**»[2].

وقال عليه السلام: «**لا تناله الأوهام فتقدّره، ولا تتوهّمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواس فتحسّه**»[3].

بعدما عرفنا عجز الإنسان عن الوصول إلى معرفة كنه الباري، فهل هذا يعني تأييد نظرية تعطيل المعرفة؟! وللإجابة على هذا السؤال نرجع إلى نهج البلاغة مرّة ثانية، ونرى انّ أمير المؤمنين عليه السلام ينفي نظرية التعطيل، ويشير إلى انّ الإنسان يتمكن من المعرفة الإجمالية التي بها يثاب ويعاقب، فقد قال عليه السلام: «**لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته**»[4].

وهناك بعض الطرق للوصول إلى هذه المعرفة الإجمالية، وردت في نهج البلاغة، وهي كما يلي:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٦.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٩.

١ - الأعلام والآيات الإلهية: قال عليه السلام: «**فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود**»[١].

وقال عليه السلام: «**وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوّته، ما دلّنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته، وأعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجة له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة**»[٢].

وقال عليه السلام: «**فلسنا نعلم كنه عظمتك إلّا انّا نعلم انّك حيّ قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام**»[٣].

وقال عليه السلام: «**الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه، وجلال كبريائه، ما حيّر مقل العقول من عجائب قدرته، وردع خطرات هماهم النفوس[٤] عن عرفان كنه صفته**»[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٠.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

(٤) هماهم النفوس: أفكارها.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٥.

٢- مشاهدة القلوب: روي انّ ذعلب اليماني سأل أمير المؤمنين عليه السلام وقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «**أفأعبد ما لا أرى؟**» قال: وكيف تراه؟ قال: «**لا تدركه العيون بمشاهدة، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلّم بلا روية، مريد بلا همّة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لايوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته**»[1].

٣- الرجوع إلى الثقلين: قال عليه السلام: «**فانظر أيها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به، واستضئ بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنّة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره، فكِلْ علمه إلى الله سبحانه، فانّ ذلك منتهى حق الله عليك. واعلم انّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فاقتصر على ذلك، ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٩.

فتكون من الهالكين»[1].

ج ـ الأنس بالله تعالى:

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله**﴾[2].

انّ أولياء الله تعالى الذين جعلوا الخالق هو المبدأ والمنتهى لجميع أعمالهم، لهم أشد حبّاً وأنساً به تعالى، وهم الذين «**صحبوا الدّنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقةٌ بالمحلّ الأعلى**»[3].

ويشرح أميرالمؤمنين عليه السلام هذا في دعاء ويقول: «**اللّهمّ إنّك آنس الآنسين لأوليائك، وأحضرهم بالكفاية للمتوكّلين عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطّلع عليهم في ضمائرهم، وتعلم مبلغ بصائرهم، فأسرارهم لك مكشوفةٌ، وقلوبهم إليك ملهوفةٌ، إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بأنّ أزمّة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٠.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢٦.

وعلى عكسهم المغترّ بالدنيا حيث «**يتعلّل بالسّرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السّلوة إن مصيبةٌ نزلت به، ضنّاً بغضارة عيشه، وشحاحةً بلهوه ولعبه**»[1].

وهذا الأنس هو السبب في شدّة اشتياق المؤمن إلى لقاء ربه تعالى، وعليه يقول سيد المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: «**وإنّي إلى لقاء الله لمشتاقٌ ولحسن ثوابه لمنتظرٌ راجٍ**»[2] وكتب عليه السلام إلى معاوية يهدّده بصفوة أصحابه قائلاً: «**متسربلين سرابيل الموت أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم**»[3].

د ـ الاستعانة بالله تعالى:

انّ الإنسان في علاقته مع خالقه يستعين به ويتوكل عليه، إذ يعلم بعجز نفسه عن أداء واجب حقه تعالى، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واستعينوا الله على أداء واجب حقّه، وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه**»[4]، وأيضاً: «**ونستعينه على رعاية حقوقه**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ٩٨.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ٩٩.

وفي وصيته للإمام الحسن عليهما السلام: «**وألجئ نفسك في أمورك كلّها إلى إلهك، فإنّك تلجئها إلى كهفٍ حريزٍ ومانعٍ عزيزٍ... فاعتصم بالّذي خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك**»[1].

وفي كتاب كتبه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر يقول فيه: «**وأكثر الاستعانة باللهّ يكفك ما أهمّك، ويعنك على ما ينزل بك**»[2].

وأخيراً يقول عليه السلام في كيفية الاستعانة: «**وأستعينه فاقةً إلى كفايته، إنّه لا يضلّ من هداه، ولا يئل من عاداه، ولا يفتقر من كفاه، فإنّه أرجح ما وزن، وأفضل ما خزن**»[3].

وقال عليه السلام: «**ونستعين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمّلٍ لنفعه، واثقٍ بدفعه، معترفٍ له بالطّول، مذعنٍ له بالعمل والقول**»[4].

هـ ـ حسن الظن بالله تعالى:

انّ الإنسان في علاقته مع خالقه يحسن الظن به ويرجوه رجاءاً صادقاً، قال عليه السلام: «**لا يصدق إيمان عبدٍ حتّى يكون بما في يد الله أوثق**

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٢.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٨٢.

منه بما في يده»[1].

وقال عليه السلام: «**وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله، وأن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه، وإنّ أحسن النّاس ظنّاً بالله أشدّهم خوفاً لله**»[2].

وقال عليه السلام في تكذيب من يدعي الرجاء: «**يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله، كذب والعظيم، ما باله لا يتبيّن رجاؤه في عمله، فكلّ من رجا عرف رجاؤه في عمله، وكلّ رجاءٍ إلا رجاء الله تعالى فإنّه مدخولٌ، وكلّ خوفٍ محقّقٌ إلا خوف الله فإنّه معلولٌ، يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصّغير، فيعطي العبد ما لا يعطي الرّبّ، فما بال الله جلّ ثناؤه يقصّر به عمّا يصنع بعباده أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً، أو تكون لا تراه للرّجاء موضعاً، وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده، أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربّه، فجعل خوفه من العباد نقداً، وخوفه من خالقه ضماراً ووعداً، وكذلك من عظمت الدّنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه، آثرها على الله تعالى، فانقطع إليها وصار عبداً لها**»[3].

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٠١.

(٢) المصدرنفسه، الكتاب: ٢٧.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٦٠.

و ـ العمل الصالح:

انّ من أهم صفات المتقين وأولياء الله تعالى هو الاهتمام بالعمل، وعدم تضييع الفرصة، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «**استقربوا الأجل فبادروا العمل**»[1] وقال عليه السلام أيضاً في خطبة المتقين: «**يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل**»[2] وذلك لعلمهم بانّه «**لن يفوز بالخير إلّا عامله، ولا يجزى جزاء الشر إلّا فاعله**»[3].

ولابد للإنسان أن يراعي في مقام العمل عدّة أمور:

أولاً: المبادرة وعدم إضاعة الفرصة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم**»[4].

وذلك لانّ الإنسان لا يدري متى يوفق مرّة ثانية للعمل، فقد يحول بينه وبين العمل إما الموت أو المرض أو الغفلة أو الشيخوخة وحلول الضعف، لذا قال عليه السلام: «**وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً خالساً**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٣.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٣.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

وقال عليه السلام: «**فليعمل العامل منكم في أيّام مهله قبل إرهاق أجله، وفي فراغه قبل أوان شغله، وفي متنفّسه قبل أن يؤخذ بكظمه، وليمهّد لنفسه وقدمه، وليتزوّد من دار ظعنه لدار اقامته**»[1].

وقال عليه السلام: «**فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبر يدعى، والمسيء يرجى، قبل أن يخمد العمل، وينقطع المهل، وتنقضي المدّة، وتسدّ أبواب التوبة، وتصعد الملائكة**»[2].

فالمتقى سبّاق إلى العمل الصالح، فتراه إما ساكت فكور، واما ناطق نصوح، وإما دائب في الخيرات إذ انّه يعلم «**انّ الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلّا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة**»[3].

وثانياً: التدبر في العمل قبل الإقدم عليه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**والناظر بالقلب، العامل بالبصر، يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له؟! فان كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنده، فانّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلّا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٩.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤.

وثالثاً: الإحساس بالتقصير، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «**لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إن زكّي أحد منهم خاف ممّا يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم منّي بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون... يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل**»[1].

ورابعاً: مطابقة السرّ والعلن، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**احذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين، واحذر كل عمل يعمل به في السرّ ويستحى منه في العلانية، واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه**»[2].

وكتب عليه السلام إلى بعض عمّاله: «**وآمره ألّا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ، ومن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته، فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة**»[3].

وخامساً: مداراة النفس، وذلك انّ مجاهدة النفس ـ سعة وضيقاً ـ تتبع مدى معرفة الإنسان، فكلّما كانت المعرفة أوسع كان الجهاد للنفس أشد، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام مع نفسه الشريفة حيث قال:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٦.

«وأيم الله يميناً استثني فيها بمشيئة الله عزّوجل، لأروضنّ نفسي رياضة تهشّ معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماءٍ نضب معينها، مستفرغة دموعها»[1].

أما نحن ما دام لم نصل إلى تلك المرتبة، فعلينا أن نخادع النفس ونأخذها شيئاً فشيئاً دون أن نقهرها رأساً وفي بداية الأمر، وهذا ما أكّد عليه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: **«وخادع نفسك في العبادة، وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلّا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة، فانّه لابد من قضائها وتعاهدها عند محلّها»**[2].

وقال عليه السلام: **«انّ للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فانّ القلب إذا أكره عمي»**[3].

وسادساً: الإخلاص ونبذ الرياء، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«اعملوا في غير رياء ولا سمعة، فانّه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له»**[4] وكتب عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: **«وأخلص في المسألة لربك، فإنّ بيده العطاء والحرمان»**[5].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣.

(٥) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

وكان في عهده عليه السلام للأشتر: «**وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك: إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط لله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ**»[1].

ولأهميّة هذا الأمر ومحوريّته كان عليه السلام يدعو الله تعالى قائلاً: «**اللهم انّي أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما ابطن لك سريرتي، محافظاً على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي، فابدي للناس حسن ظاهري، وأفضي إليك بسوء عملي، تقرّباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك**»[2].

وسابعاً: النية الصالحة عند الحرمان من العمل، وذلك لانّ الإنسان ربما لا يوفّق لأداء بعض الأعمال لظروف تحيط به إما زمنية أو اجتماعية او لتداخل الأعمال وما شاكل، فهنا يأتي دور النية الصالحة لتقوم مقام العمل، وليفوز الإنسان بثواب ما حرم من أدائه، قال عليه السلام: «**انّ الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة**»[3] وقد قال له بعض أصحابه: وددت انّ أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال عليه السلام: «**أهوى أخيك معنا؟**

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٨.

قال: نعم، قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان»[1].

وقال عليه السلام: «**من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربّه عزوجل، وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه**»[2].

هذه أهم النقاط التي يراعيها الإنسان في مقام العمل، وهو يعلم انّه «**لا يقلّ عمل مع التقوى، وكيف يقلّ ما يتقبّل**»[3].

ز ـ الطاعة والعبودية:

انّ الله تعالى بفضله وكرمه جعل حقوقاً متبادلة بينه وبين عباده مع غنائه عنهم واحتياجهم إليه، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «**ولكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه، وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨٩.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٦.

فالإنسان يكدح في طاعة الله تعالى لعلمه بانّه: «**لا يخدع الله عن جنّته، ولا تنال مرضاته الّا بطاعته**»[1] وهو يعلم أيضاً انّه: «**ليس أحد وإن اشتد على رضى الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له**»[2].

وهذا ما كان يؤكّده أمير المؤمنين عليه السلام دائماً ويقول: «**فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم، ودخيلاً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين وردكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجنّة ليوم فزعكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فانّ طاعة الله حرز من متالف مكتنفة، ومخاوف متوقعة، وأوار نيران موقدة... فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته، ووعظكم برسالته، وامتنّ عليكم بنعمته، فعبّدوا أنفسكم لعبادته، واخرجوا إليه من حق طاعته**»[3].

وأخيراً يجمع هذا كله قوله عليه السلام: «**اتق الله بطاعته، وأطع الله بتقواه**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

(٤) تصنيف غرر الحكم للآمدي: ٥٨٣٨ .

ح ـ التقوى:

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

تبيّن لنا هذه الآية الكريمة انّ الإنسان في علاقته مع خالقه لابدّ وأن يتقيه حق التقى، إذ أنّها «**لم تزل عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غداً، إذا أعاد الله ما أبدأ وأخذ ما أعطى، فما أقلّ من حملها حق حملها**»[2].

وقال عليه السلام أيضاً: «**وأوصاكم بالتّقوى، وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه**»[3].

وقال عليه السلام أيضاً: «**لا تقدم ولا تحجم إلّا على تقوى الله وطاعته تظفر بالنجح والنهج القويم**»[4].

وقال عليه السلام: «**إنّ تقوى الله مفتاح سدادٍ، وذخيرة معادٍ، وعتقٌ من كلّ ملكةٍ، ونجاةٌ من كلّ هلكةٍ، بها ينجح الطّالب، وينجو الهارب، وتنال الرّغائب**»[5].

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) تصنيف غرر الحكم للآمدي ح: ٥٨٥٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.

(٤) تصنيف غرر الحكم للآمدي ح: ٥٨٧٤.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٢٩.

وقال عليه السلام: «**إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، و أمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم**»[1].

وأخيراً قال عليه السلام: «**اتّق الله الّذي لابدّ لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه**»[2]، ومن أراد المزيد عن التقوى فليرجع إلى كتاب «التقوى في نهج البلاغة» من هذه السلسلة.

ط ـ الدعاء:

انّ الإنسان في علاقته مع خالقه لا يستغني عن دعائه، وعرض حوائجه عليه، وفي ذلك يقول عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**واعلم أنّ الّذي بيده خزائن السّماوات والأرض قد أذن لك في الدّعاء، وتكفّل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التّوبة، ولم يعاجلك بالنّقمة، ولم يعيّرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يشدّد عليك في قبول الإنابة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرّحمة بل جعل نزوعك عن الذّنب**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب، ١٢.

حسنةً، وحسب سيّئتك واحدةً وحسب حسنتك عشراً، وفتح لك بـاب المتاب، وباب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشـكوت إليـه همومـك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره مـن زيـادة الأعـمار، وصـحّة الأبـدان وسـعة الأرزاق، ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيـه مـن مـسألته فمتى شئت استفتحت بالدّعاء أبواب نعمته، واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنّطنّك إبطاء إجابته فإنّ العطيّة على قدر النّيّة، وربّما أخّـرت عنـك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السّائل، وأجـزل لعطـاء الآمـل وربّـما سألت الشّيء فلا تؤتاه، وأوتيت خـيراً منـه عـاجلاً أو آجـلاً أو صرف عنك لما هو خيرٌ لك فلربّ أمرٍ قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمـال لا يبقـى لـك، ولا تبقى له»[1].

ي ـ الإيمان والإسلام:

لابدّ للإنسان الذي يريد النجاة، أن يؤمن بخالقه ويتخذ الـدين الذي ارتضاه له، وذلك لأنّ ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْـهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾[2].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) آل عمران: ٨٥.

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله**»[1]، وقال عليه السلام: «**لا شرف أعلى من الإسلام**»[2].

وقال عليه السلام: «**الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن عقله، وسلماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولبّاً لمن تدبّر، وآية لمن توسّم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتّعظ، ونجاة لمن صدّق، وثقة لمن توكّل، وراحة لمن فوّض، وجنّةً لمن صبر.**

فهو أبلج المناهج، واضح الولائج، مشرف المنار، مشرق الجوادّ، مضيء المصابيح، كريم المضمار، رفيع الغاية، جامع الحلبة، متنافس السّبقة، شريف الفرسان. التّصديق منهاجه، والصّالحات مناره، والموت غايته، والدّنيا مضماره، والقيامة حلبته، والجنّة سبقته»[3].

وقال عليه السلام: «**انّ الله خصّكم بالإسلام واستخلصكم له، وذلك لانّه اسم سلامة، وجماع كرامة، اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم، وباطن حكم، لا تفنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، فيه**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٠.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٥.

مرابيع النعم، ومصابيح الظلم، لا تفتح الخيرات إلّا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلّا بمصابيحه، قد أحمى حماه، وأرعى مرعاه، وفيه شفاء المشتفي، وكفاية المكتفي»[1].

وقال عليه السلام: «**فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته، وتنفصم عروته، وتعظم كبوته، ويكن مآبه إلى الحزن الطويل، والعذاب الوبيل**»[2].

وقال عليه السلام: «**ثم انّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه، وأصفاه خيرة خلقه، وأقام دعائمه على محبّته، وأذلّ الأديان بعزّه، ووضع الملل برفعه، وأهان أعداءه بكرامته، وخذل محادّيه بنصره، وهدم أركان الضّلالة بركنه، وسقى من عطش من حياضه، وأتاق الحياض بمواتحه**[3].

ثمّ جعله لا انفصام لعروته، ولا فكّ لحلقته، ولا انهدام لأساسه، ولا زوال لدعائمه، ولا انقلاع لشجرته، ولا انقطاع لمدّته، ولا عفاء لشرائعه، ولا جذّ لفروعه، ولا ضنك لطرقه، و لا وعوثة لسهولته، و لا سواد لوضحه، ولا عوج لانتصابه، ولا عصل[4] **في عوده، ولا وعث**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦١.

(٣) أتاق: ملأ، والمواتح: الدلاء يمتح بها أي يسقى بها.

(٤) العصل: الالتواء والاعوجاج.

لفجّه[1]**، ولا انطفاء لمصابيحه، ولا مرارة لحلاوته**»[2].

ثم بيّن عليه السلام انّ النطق بالشهادتين بداية التمسك بهذا الدين، حيث قال عليه السلام: «**وأشهد أن لا إله إلّا الله، شهادة ممتحناً إخلاصها، ومعتقداً مصاصها، نتمسّك بها أبداً ما أبقانا، وندّخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنّها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان، وأشهد انّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور...**»[3].

وقال عليه السلام: «**ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وانّ محمداً عبده ورسوله، شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزان توضعان فيه، ولا يثقل ميزان ترفعان منه**»[4].

ويشرح عليه السلام كيفية الإيمان ويقول: «**ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب، ووقف على الموعود، إيماناً نفى اخلاصه الشرك، ويقينه الشك**»[5].

وقال عليه السلام: «**نؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً،**

---

(١) وعث الطريق: تعسّر المشي فيه، والفجّ: الطريق الواسع بين الجبلين.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

وخنع له مذعناً، وأخلص له موحّداً، وعظّمه ممجداً، ولاذ به راغباً مجتهداً»[1].

وبما «**انّ الإيمان يبدو لمضة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة**»[2]. بدأ عليه السلام بذكر حقيقة الإيمان والإسلام وما لابدّ أن يتصف المؤمن به، فقال: «**فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلّا بالحق**»[3].

وقال عليه السلام: «**الإيمان على أربع دعائم: على الصّبر، واليقين، والعدل، والجهاد:**

فالصّبر منها على أربع شعب: على الشّوق، والشّفق، والزّهد، والتّرقّب: فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات، ومن أشفق من النّار اجتنب المحرّمات، ومن زهد في الدّنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات.

واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأوّل الحكمة، وموعظة العبرة، وسنّة الأوّلين: فمن تبصّر في الفطنة تبيّنت له الحكمة، ومن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥ / من غريب الكلام.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٧.

والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغـور العلـم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم: فمن فهم علم غور العلـم، ومـن علـم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرّط في أمره وعاش في النّاس حميداً.

والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنّهي عـن المنكر، والصّدق في المواطن، وشنآن الفاسقين: فمن أمر بـالمعروف شـدّ ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنئ الفاسـقين وغـضب لله غـضب الله لـه وأرضاه يوم القيامة»[1].

وقال عليه السلام: **«الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقـين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقـرار هـو الأداء، والأداء هـو العمل»**[2].

وقال عليه السلام: **«الإيمان معرفـة بالقلـب، وإقـرار باللـسان، وعمـل بالأركان»**[3].

وقال عليه السلام: **«لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله سبحانه**

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٨.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢١٧.

أوثق منه بما في يده»[1].

وقال عليه السلام: «**علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك، وألّا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقي الله في حديث غيرك**»[2].

وقال عليه السلام: «**فبالإيمان يستدل على الصالحات، وبالصالحات يستدلّ على الإيمان، وبالإيمان يعمر العلم...**»[3].

وأخيراً بيّن عليه السلام انّ درجات الإيمان متفاوتة وقال: «**فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم، فإذا كانت لكم براءة من أحد فقفوه حتى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حدّ البراءة**»[4].

***

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٤٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٩.

ـ ٢ ـ
المخلوق

سبق وأن قسّمنا المخلوق إلى عدّة تقسيمات، حيث انّ المخلوق الآخر إما أن يكون مجتمعاً من الأفراد، أو فرداً واحداً، أو شيطاناً، أو سائر المخلوقات والكائنات، وعليه كيف يرسم الإنسان خريطة حياته في تعامله مع هذا الآخر، وهذا ما سنبيّنه هنا إن شاء الله تعالى.

وقبل ذلك ليعلم انّ المخلوق الآخر حجة من الحجج الإلهية، ودليل من الأدلة للتعرّف والاهتداء إلى الخالق جلّت عظمته، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فصار كلّ ما خلق حجّةً له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجّته بالتّدبير ناطقةٌ، ودلالته على المبدع قائمةٌ**»[1].

وقال عليه السلام بعد ما ذكر دقيق خلق النملة: «**ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلّتك الدّلالة إلا على أنّ فاطر النّملة هو فاطر النّخلة، لدقيق تفصيل كلّ شيءٍ، وغامض اختلاف كلّ حيٍّ، وما**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٠.

الجليل واللّطيف، والثّقيل والخفيف، والقويّ والضّعيف في خلقه إلا سواءٌ، و كذلك السّماء والهواء، والرّياح والماء، فانظر إلى الشّمس والقمر، والنّبات والشّجر، والماء والحجر، واختلاف هذا اللّيل والنّهار، وتفجّر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرّق هذه اللّغات والألسن المختلفات. فالويل لمن أنكر المقدّر، وجحد المدبّر، زعموا أنّهم كالنّبات ما لهم زارعٌ، ولا لاختلاف صورهم صانعٌ، ولم يلجأوا إلى حجّةٍ فيما ادّعوا، ولا تحقيقٍ لما أوعوا، وهل يكون بناءٌ من غير بانٍ، أو جنايةٌ من غير جانٍ»[1].

ويجد المتصفّح لنهج البلاغة ذكر الكثير من الآيات والحجج الدالة على وجود الخالق وصفاته، كخلق الخفاش والطاووس والسماوات والأرض وغيرها من المخلوقات، حيث انّ كلها تشير إلى وجوده جلّت عظمته، كما قال عليه السلام: «**بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التّدبير المتقن والقضاء المبرم**»[2].

أ ـ المجتمع الإنساني:

كما قلنا انّ الإنسان مدني بالطبع، ولا يمكن أن يستغني عن

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٨٢.

الحكومة وتأسيس المجتمع، ليعيش في ظلّه ويقضي حوائجه بالتعاون مع الآخرين، وفي ذلك يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في معرض ردّه على الخوارج الذين أنكروا الحكومة: «**وإنّه لا بدّ للنّاس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ الله فيه الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدوّ، وتأمن به السّبل، ويؤخذ به للضّعيف من القويّ، حتّى يستريح برٌّ، ويستراح من فاجرٍ**»[1].

ثم شاء التقدير الإلهي أن يكون المجتمع متنوعاً، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا**﴾[2].

وفي كلام لأميرالمؤمنين عليه السلام يذكر فيه أسباب اختلاف الناس ويقول: «**إنّما فرّق بينهم مبادئ طينهم، وذلك أنّهم كانوا فلقةً من سبخ أرضٍ وعذبها وحزن تربةٍ وسهلها فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتامّ الرّواء ناقص العقل، ومادّ القامة قصير الهمّة، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السّبر، ومعروف الضّريبة منكر الجليبة، وتائه القلب متفرّق اللّبّ، وطليق اللّسان حديد الجنان**»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٤٠.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٣.

وفي نصّ آخر يقسّم أمير المؤمنين عليه السلام الناس إلى أربعة أقسام ويقول: «**والنّاس على أربعة أصنافٍ منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه، وكلالة حدّه، ونضيض وفره، ومنهم المصلت لسيفه، والمعلن بشرّه، والمجلب بخيله ورجله قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطامٍ ينتهزه، أو مقنبٍ يقوده، أو منبرٍ يفرعه، ولبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً وممّا لك عند الله عوضاً، ومنهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه، وشمّر من ثوبه وزخرف من نفسه للأمانة، واتّخذ ستر الله ذريعةً إلى المعصية، ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضئولة نفسه، وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلّى باسم القناعة، وتزيّن بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مراحٍ ولا مغدًى. وبقي رجالٌ غضّ أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريدٍ نادٍّ، وخائفٍ مقموعٍ وساكتٍ مكعومٍ وداعٍ مخلصٍ، وثكلان موجعٍ قد أخملتهم التّقيّة وشملتهم الذّلّة فهم في بحرٍ أجاجٍ أفواههم ضامزةٌ وقلوبهم قرحةٌ قد وعظوا حتّى ملّوا وقهروا حتّى ذلّوا وقتلوا حتّى قلّوا**»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «**وإنّما النّاس رجلان: متّبعٌ شرعةً، ومبتدعٌ**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٢.

بدعةً، ليس معه من الله سبحانه برهان سنّةٍ، ولا ضياء حجّةٍ»[1].

وقال عليه السلام أيضاً لكميل: «**النّاس ثلاثةٌ، فعالمٌ ربّانيٌّ، ومتعلّمٌ على سبيل نجاةٍ، وهمجٌ رعاعٌ أتباع كلّ ناعقٍ، يميلون مع كلّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيقٍ**»[2].

فالإنسان في علاقته مع المجتمع وتعامله معه، لابدّ وأن يكون ذا بصيرة عالية ليتمكن من السير على النهج القويم، وبالإمكان تقسيم المجتمع إلى: موالي، ومتخاذل، ومخالف، وتعامل الإنسان وعلاقته مع كلّ واحد تختلف عن الآخر.

١ـ المجتمع الموالي:

تتلخّص سيرة الإنسان في المجتمع الموالي والصالح ضمن نقاط نذكرها فيما يلي:

نصرة الدين والصبر، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدوّ... فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه**»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٥٥.

ومنها العبودية لله تعالى، قال عليه السلام يصف خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، قد باتوا سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشّجر يوم الرّيح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءً للثّواب**»[1].

وقال عليه السلام: «**طوبى لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها**[2]**، وهجرت في اللّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها في معشرٍ أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون**»[3].

ومنها لزوم الجماعة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإنّ الشاذ من الناس للشيطان، كما انّ الشاذة من الغنم للذئب**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٦.

(٢) يقال: عرك فلان بجنبه الأذى: أي أغضى عنه وصبر عليه.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٧.

وقال عليه السلام: «**فإياكم والتلوّن في دين الله، فانّ جماعة فيما تكرهون من الحق، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وانّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى، ولا ممن بقي**»[1].

وقال عليه السلام بعد ما ذكر الأمم السالفة: «**فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم، فالزموا كل أمر لزمت العزّة به حالهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية فيه بهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة، واللزوم للأُلفة، والتحاضّ عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن منّتهم: من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي**»[2].

ولا يفوت على القارئ الكريم بانّ الواجب هو لزوم الجماعة الصالحة، كما نبهنا عليه وكما ورد في كلام الإمام عليه السلام، وإلّا فلا طاعة للأشرار ولا لزوم لجماعتهم، كما قال عليه السلام منبّهاً لذلك: «**ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم، وخلطتم بصحتكم مرضهم، وأدخلتم في حقكم باطلهم، وهم أساس الفسوق، وأحلاس العقوق، اتخذهم إبليس مطايا ضلال، وجنداً بهم يصول على الناس، وتراجمة**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

ينطق على ألسنتهم»[1] وكما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سئل: أيّ الجهاد أفضل؟ فقال: «**كلمة حق عند إمام جائر**»[2].

إذن الوصية بلزوم الجماعة لا تؤخذ على نحو الإطلاق.

ومنها لزوم العشيرة، انّ الإنسان في سلوكه الاجتماعي وصول للرحم سيّما لعشيرته، إذ «**انّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألمّهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به**»[3].

وكتب عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**وأكرم عشيرتك، فإنّهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول**»[4].

وهذا ما التزم به أمير المؤمنين عليه السلام في سلوكه، فقد كتب إلى ابن عباس لما كان واليه على البصرة وسمع منه غلظة على بني تميم: «**انّ لهم بنا رحماً ماسة، وقرابة خاصة، نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣١٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

(٥) المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٨.

طبعاً لزوم العشيرة لا يؤخذ أيضاً على اطلاقه، بل انّه مقيّد بالعشيرة الصالحة، وإلّا فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فانّهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية**»[1].

فالتقوى هنا تقتضي محاربة هكذا عشيرة، كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام حال المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وانّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلّا إيماناً ومضيّاً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح**»[2].

وقال عليه السلام: «**ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضيّاً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدو**»[3].

ثمّ إن كان الإنسان حاكماً فعليه أن يبني علاقته مع المجتمع الموالي ضمن النقاط التالية:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٥.

العدل، قال عليه السلام: «**الذّليل عندي عزيزٌ حتّى آخذ الحقّ له، والقويّ عندي ضعيفٌ حتّى آخذ الحقّ منه**»(١).

وقال عليه السلام: «**أتأمروني أن أطلب النّصر بالجور فيمن ولّيت عليه، واللهّ لا أطور به ما سمر سميرٌ، وما أمّ نجمٌ في السّماء نجماً**»(٢).

وقال عليه السلام: «**واللهّ لأن أبيت على حسك السّعدان مسهّداً، أو أجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيءٍ من الحطام**»(٣).

وكتب عليه السلام إلى بعض أمرائه: «**أمّا بعد فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر النّاس عندك في الحقّ سواءً، فإنّه ليس في الجور عوضٌ من العدل**»(٤).

الألفة والوحدة، قال عليه السلام وهو يكلّم الخوارج: «**فإذا طمعنا في خصلةٍ يلمّ الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا، رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها**»(٥).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢٣.

(٤) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٩.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ١٢١.

أداء الشريعة وتبليغها، قال عليه السلام: «**إنّه ليس على الإمام إلا ما حمّل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النّصيحة، والإحياء للسّنّة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدار السّهمان على أهلها**»[1].

وقال عليه السلام: «**اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسةً في سلطانٍ، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطّلة من حدودك**»[2].

المواساة، قال عليه السلام: «**ولو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشّبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكبادٌ حرّى... أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش**»[3].

الاستماع لحوائج الناس، قال عليه السلام في كتاب كتبه إلى عماله على الخراج: «**فأنصفوا النّاس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنّكم خزّان الرّعيّة، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمّة، ولا تحشموا أحداً عن**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٤٥.

حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته»[1].

وفي عهده عليه السلام للأشتر: «**واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً، فتتواضع فيه لله الّذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتّى يكلّمك متكلّمهم غير متعتعٍ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطنٍ: لن تقدّس أمّةٌ لا يؤخذ للضّعيف فيها حقّه من القويّ غير متعتعٍ**»[2].

الإحسان إليهم، في عهده عليه السلام للأشتر: «**واعلم أنّه ليس شيءٌ بأدعى إلى حسن ظنّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المئونات عليهم، وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم**»[3].

٢ـ المجتمع المتخاذل:

الإنسان سواء كان حاكماً أو غير حاكم يبني علاقته وتعامله مع المجتمع المتخاذل في البداية على النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من الأهمية بحيث قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: «**وما أعمال**

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥١.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣.

البرّ كلّها، والجهاد في سبيل الله، عند الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، إلا كنفثةٍ في بحرٍ لجّيٍّ»[1].

وقال عليه السلام يشتكي من قلّة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: «**ظهر الفساد فلا منكرٌ مغيّرٌ ولا زاجرٌ مزدجرٌ**»[2]، وقال عليه السلام: «**لا تتركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم**»[3].

وقال عليه السلام أيضاً: «**فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلعن الله السّفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك التّناهي**»[4].

ومنها التأنيب والزجر، كما صنعه أميرالمؤمنين عليه السلام مع مجتمعه المتخاذل حيث كان يقول عليه السلام: «**فقبحاً لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون... يا أشباه الرّجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفةً والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري**

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٩٢.

غيظاً، وجرّعتموني نغب التّهمام أنفاساً...»[1].

وقال عليه السلام: «**أصبحت والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدوّ بكم**»[2].

وقال عليه السلام: «**منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنتظرون بنصركم ربّكم، أما دينٌ يجمعكم، ولا حميّة تحمشكم**[3]**، أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً**»[4].

وقد ذكر عليه السلام في مناسبة أخرى انّ السبب في كثرة تأنيبه لهم، استنهاضهم لئلّا يغلب عليهم العدو، فقال عليه السلام: «**ولكنّني آسى أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها، فيتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصّالحين حرباً، والفاسقين حزباً فإنّ منهم الّذي قد شرب فيكم الحرام، وجلد حدّاً في الإسلام، وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرّضائخ، فلو لا ذلك ما أكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٩.

(٣) تحمشكم: أي تغضبكم.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٩.

(٥) المصدر نفسه، الكتاب: ٦٢.

٣ ـ المجتمع المخالف (المفتتن):

لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ الأمة سيفتنون من بعده وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: «**يا عليّ إنّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، والرّبا بالبيع**»[1].

وانّ من أهمّ أسباب افتتان المجتمع التي وردت الإشارة إليها في نهج البلاغة، الركون إلى الدنيا كما قال عليه السلام في حق البغاة: «**كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدّنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها**»[2].

وقال عليه السلام في حق الفارين إلى معاوية: «**إنّما هم أهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها**»[3].

وقال عليه السلام أيضاً: «**قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخرة،**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٣.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٧٠.

والعاجلة أذهب بكم من الآجلة... قد تصافيتم على رفض الآجل وحبّ العاجل، وصار دين أحدكم لعقةً على لسانه»[1].

وقال عليه السلام: «**فإنّ النّاس قد تغيّر كثيرٌ منهم عن كثيرٍ من حظّهم، فمالوا مع الدّنيا ونطقوا بالهوى**»[2].

ومنها البدع، قال عليه السلام: «**إنّما بدء وقوع الفتن أهواءٌ تتّبع، وأحكامٌ تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولّى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله**»[3].

وقال عليه السلام: «**قد خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السّنن**»[4].

ومنها الغفلة، قال عليه السلام: «**ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم، وأمنتم ما حذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتّت عليكم أمركم**»[5].

ومنها ترك الحق، قال عليه السلام: «**ولعمري ليضعّفنّ لكم التّيه من بعدي أضعافاً، بما خلّفتم الحقّ وراء ظهوركم**»[6].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٧٨.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٤٩.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٥٤.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ١١٥.

(٦) المصدر نفسه، الخطبة: ١٦٦.

ومنها متابعة السادة والكبراء الضالين، قال عليه السلام: «**ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الّذين تكبّروا عن حسبهم، وترفّعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربّهم، و جاحدوا الله على ما صنع بهم، مكابرةً لقضائه ومغالبةً لآلائه، فإنّهم قواعد أساس العصبيّة، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهليّة**»[1].

ومنها متابعة الشيطان، قال عليه السلام: «**إنّ الشّيطان يسنّي [أي يسهّل] لكم طرقه ويريد أن يحلّ دينكم عقدةً عقدةً**»[2].

وقال عليه السلام في صفة حزب الشيطان: «**اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً، واتّخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، وزيّن لهم الخطل**»[3]. انّ هذه الأسباب وغيرها تسبّب افتتان المجتمع أنّى حصلت، فما الحيلة إذن في تعامل الإنسان مع هكذا مجتمع، وكيف يرسم علاقته معه؟!

نستنتج من كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، انّ وظيفة المؤمن أمام المجتمع المخالف والمفتتن تتلخّص ضمن النقاط التالية:

١ـ متابعة الحق والتمسك به، قال عليه السلام بعد ما قبض رسول

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٧.

الله ﷺ حيث وقعت الفتنة العظمى التي غيّرت وجه التاريخ الإسلامي عن مساره الصحيح: «**أيّها النّاس شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاة**»[1].

وقال عليه السلام: «**أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب، وتخدعكم الكواذب، ومن أين تؤتون وأنّى تؤفكون... فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم**»[2].

وقال عليه السلام: «**وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصّبر والعلم بمواضع الحقّ، فامضوا لما تؤمرون به، وقفوا عند ما تنهون عنه**»[3].

٢ـ متابعة الحاكم العادل، قال عليه السلام: «**فتنٌ كقطع اللّيل المظلم... يجاهدهم في سبيل الله قومٌ أذلّةٌ عند المتكبّرين، في الأرض مجهولون، وفي السّماء معروفون**»[4].

٣ـ الخمول، قال عليه السلام: «**وذلك زمانٌ لا ينجو فيه إلا كلّ مؤمنٍ نومةٍ، إن شهد لم يعرف، وإن غاب لم يفتقد**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٥.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٧٣.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٠١.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ١٠٢.

وقال عليه السلام: «**كن في الفتنة كابن اللّبون، لا ظهرٌ فيركب، ولا ضرعٌ فيحلب**»[1].

٤ـ الفرار، قال عليه السلام عند ذكره لفتنة أهل البصرة في وقعة الجمل: «**المقيم بين أظهركم مرتهنٌ بذنبه، والشّاخص عنكم متداركٌ برحمةٍ من ربّه**»[2].

وقال عليه السلام: «**ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف... يهرب منها الأكياس ويدبّرها الأرجاس**»[3].

وليعلم انّ الفقرة الثالثة والرابعة تكون عند خلوّ الساحة من إمام الهدى أو من ينوب عنه نيابة خاصة أو عامة، وإلّا فمع وجوده يلزم مراجعته والتمسك به كما مرّ.

هذا إذا كان الإنسان فرداً عادياً، أما إذا كان حاكماً فماذا عليه أن يصنع في تعامله مع المجتمع المفتتن والمخالف؟! وهنا أيضاً نستنتج من كلام أمير المؤمنين عليه السلام عدّة نقاط، وهي كما يلي:

١ـ النصيحة والتأنّي، قال عليه السلام لما عوتب على تأخير القتال مع بغاة الشام: «**فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي**

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٣.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٥١.

طائفةٌ فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها»[1].

وقال عليه السلام: «**فإذا طمعنا في خصلةٍ يلمّ الله بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقيّة فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها**»[2].

٢ـ التهديد والتوعّد، فقد كتب عليه السلام لأهل البصرة: «**فإن خطت بكم الأمور المردية وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي فها أنا ذا قد قرّبت جيادي ورحلت ركابي ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعةً لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعقٍ**»[3].

وكتب عليه السلام إلى معاوية: «**فأنا أبو حسنٍ قاتل جدّك وأخيك وخالك شدخاً يوم بدرٍ، وذلك السّيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوّي**»[4].

٣ـ القتال، قال عليه السلام في حق البغاة: «**فإن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف، وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحقّ**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٢٩.

(٤) المصدر نفسه، الكتاب: ١٠.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢.

وقال عليه السلام: «**ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحقّ وخابط الغيّ من إدهانٍ ولا إيهانٍ**»(١).

وقال عليه السلام: «**مالي ولقريشٍ، والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنّهم مفتونين**»(٢).

وقال عليه السلام: «**ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء محمّدٌ صلى الله عليه وآله**»(٣).

وقال عليه السلام بنفس المضمون: «**وقد قلّبت هذا الأمر بطنه وظهره حتّى منعني النّوم، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّدٌ**»(٤).

وكتب لأخيه عقيل: «**وأمّا ما سألت عنه من رأيي في القتال، فإنّ رأيي قتال المحلّين حتّى ألقى الله**»(٥).

وفي نهاية المطاف يدعونا أمير المؤمنين عليه السلام إلى الاعتبار من الأمم والمجتمعات الماضية ويقول: «**واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، وذميم الأعمال، فتذكّروا في الخير والشّرّ**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٣٣.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٤٣.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ٥٣.

(٥) المصدر نفسه، الكتاب: ٣٦.

أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم»[1].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**واعرض عليه [أي على قلبك] أخبار الماضين وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأوّلين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا وأين حلّوا ونزلوا**»[2].

ب ـ الفرد الواحد:

سبق وأن قلنا انّ الآخر الفرد من أفراد المجتمع يمكن تقسيمه إلى نبي ووصي، أو حاكم، أو غير حاكم، والحاكم إما عادل وإما ظالم، وأما غير الحاكم فهو إما موالي وإما مخالف، والمخالف إما كافر أو ذمي، وإما منافق وإما عدو.

فحينئذٍ كيف يبني الإنسان علاقته مع هذا الآخر من أبناء وأفراد المجتمع؟!

وسنحاول فيما يلي ـ وبالاعتماد على نهج البلاغة ـ استخراج وظيفة الإنسان في بناء علاقته مع هؤلاء.

١ ـ النبي أو الوصي:

انّ الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، وهو القائل: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٣١.

السَّماءَ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1]، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واعلموا عباد الله أنّه لم يخلقكم عبثاً ولم يرسلكم هملاً**»[2].

وعليه مسّت الحاجة إلى إرسال الأنبياء عليهم السلام لهداية الناس، وإتمام الحجة عليهم، قال أمير المؤمنين عليه السلام «**بعث الله رسله بما خصّهم به من وحيه، وجعلهم حجّةً له على خلقه، لئلا تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصّدق إلى سبيل الحقّ**»[3] ثم أردفهم بالأوصياء للحفاظ على سلامة الدعوة واستمراريتها.

وكان لازماً على الإنسان في علاقته مع الأنبياء والأوصياء، الطاعة والانقياد كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدًى، ولن يعيدوكم في ردًى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا**»[4].

وقال عليه السلام: «**وهو الّذي أسكن الدّنيا خلقه، وبعث إلى الجنّ والإنس رسله، ليكشفوا لهم عن غطائها، وليحذّروهم من ضرّائها،**

---

(١) ص: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٤٤.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ٩٦.

وليضربوا لهم أمثالها، وليبصّروهم عيوبها، وليهجموا عليهم بمعتبرٍ من تصرّف مصاحّها وأسقامها، وحلالها وحرامها، وما أعدّ الله للمطيعين منهم والعصاة من جنّةٍ ونارٍ، وكرامةٍ وهوانٍ»[1].

وبخلاف ذلك سيكون الهرج والمرج والضلال والانحراف، قال عليه السلام وهو يصف حالة اختلاف الفرق والانحراف الحاصل: «**فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيٍّ، ولا يقتدون بعمل وصيٍّ**»[2].

ثم انّ الأمر الآخر الذي يلزم على الإنسان رعايته في علاقته وتعامله مع الأنبياء والرسل، إنّما هو الاقتداء والتأسّي بهم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كافٍ لك في الأسوة... فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله فإنّ فيه أسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى، وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره**»[3].

٢ـ الحاكم العادل:

انّ الآخر إذا كان حاكماً عادلاً فما هو موقف الإنسان في ربط

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٨٧.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٦٠.

العلاقة والتعامل معه؟! هنا يأتي أيضاً نفس الدور السابق وهو الطاعة والانقياد والوفاء بالبيعة، وهذا من الحقوق المتبادلة بين الحاكم والرعية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف واجب الأمة أمام الحاكم العادل: «**وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنّصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطّاعة حين آمركم**»[1].

وقال عليه السلام في كتاب كتبه إلى أمرائه على الجيوش: «**ولي عليكم الطّاعة، وألا تنكصوا عن دعوةٍ، ولا تفرّطوا في صلاحٍ، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ**»[2].

وقال عليه السلام: «**فاستمعوا من ربّانيّكم، وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم**»[3].

وعند رعاية هذه الحقوق المتبادلة بين الحاكم والأمة يستقر الأمر، كما قال عليه السلام: «**فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالي حقّه، وأدّى الوالي إليها حقّها، عزّ الحقّ بينهم، وقامت مناهج الدّين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السّنن، فصلح بذلك الزّمان، وطمع في بقاء الدّولة، ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرّعيّة واليها، أو أجحف الوالي برعيّته،**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٠.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٠٧.

اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدّين، وتركت محاجّ السّنن، فعمل بالهوى، وعطّلت الأحكام، وكثرت علل النّفوس، فلا يستوحش لعظيم حقٍّ عطّل، ولا لعظيم باطلٍ فعل، فهنالك تذلّ الأبرار، وتعزّ الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد»[1].

طبعاً انّ طاعة الحاكم العادل تدور مدار الحق، فمتى ما خرج الحاكم عن جادة الحق فلا طاعة له، و في ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر لما ولّى عليهم مالك الأشتر: «**فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحقّ**»[2].

٣ـ الحاكم الظالم:

ربما يبتلى الإنسان بالحاكم الظالم، الذي يهلك الحرث والنسل، وربما تطول مدّة حكمه، ولكن الله تعالى له بالمرصاد، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولئن أمهل الظّالم فلن يفوت أخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه، وبموضع الشّجا من مساغ ريقه**»[3].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٩٦.

والحاكم الظالم من شر الناس لأنّه سبب الفتنة والضلال، قال عليه السلام: «**وإنّ شرّ النّاس عند الله إمامٌ جائرٌ ضَلّ وضُلّ به، فأمات سنّةً مأخوذةً، وأحيا بدعةً متروكةً**»[1].

ثم انّ الإنسان أمام الحاكم الجائر لابدّ وأن يقول كلمة الحق، كما قال عليه السلام: «**إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يقرّبان من أجلٍ، ولا ينقصان من رزقٍ، وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائرٍ**»[2].

ثم عليه أن يجاهد ويكافح لئلّا يغلب الباطل، وهذا ما أوصى به عليه السلام المسلمين حيث قال: «**أمّا إنّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه...**»[3].

٤ـ الفرد الموالي:

نقصد بالفرد الموالي من كان شريكاً مع الإنسان في العقيدة والاتجاه، فهنا كيف يربط الإنسان علاقته مع هذا الآخر؟

انّ الآخر إذا كان من أهله وولده فعليه بالإحسان إليهم والرحمة

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٤.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٥٦.

والمودة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك**»[1]، وكذلك الإنصاف والعدل، قال عليه السلام: «**وأنصف النّاس من نفسك ومن خاصّة أهلك**»[2].

طبعاً الاهتمام بالأهل والأولاد لابدّ أن لا يخرج الإنسان عن جادة الحق وإعلاء كلمة الله تعالى، قال عليه السلام لأحد أصحابه: «**لا تجعلنّ أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله، فإنّ الله لا يضيع أولياءه، وإن يكونوا أعداء الله، فما همّك وشغلك بأعداء الله**»[3].

ثم انّ الآخر إن كان صديقاً فعلى الإنسان أن يلاحظ أولاً سلوك هذا الصديق، ويرى هل أنّه أهل للصداقة أم لا، فقد ورد النهي عن مصادقة عدة أشخاص، كما في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «**يا بنيّ إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر، فإنّه يبيعك بالتّافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب فإنّه كالسّراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٤.

وقال عليه السلام أيضاً: «**لا تصحب المائق فإنّه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله**»[1]. والمائق هو الأحمق.

فعندئذٍ يصادق الإنسان غير هؤلاء المذمومين، ويحاول جهد سعيه أن يحافظ على هذه الصادقة، لأنّ «**أعجز النّاس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم**»[2].

ويحاول دوماً أن يداري الصديق ويصله، قال عليه السلام: «**احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصّلة، وعند صدوده على اللّطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدّنوّ، وعند شدّته على اللّين، وعند جرمه على العذر... وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيّةً يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً**»[3].

وقال عليه السلام: «**لا يكون الصّديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاثٍ في نكبته وغيبته ووفاته**»[4].

ويشير عليه السلام إلى انّ الصداقة لابدّ وأن تتبع الموازين فلا يسهب الإنسان في الصداقة بحيث يفشي إليه سرّه وكل ما عنده، قال عليه السلام: «**أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض**

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٣١.

(٤) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٧.

بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[1].

ومن الأمور التي لابدّ من مراعاتها في التعامل مع الآخر الاهتمام بصلاح ذات البين، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن والحسين عليهما السلام: «**أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدّكما صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصّلاة والصّيام**»[2].

ومنها التواصل مع الآخر، قال عليه السلام: «**وعليكم بالتّواصل والتّباذل، وإيّاكم والتّدابر والتّقاطع**»[3].

ومنها التواضع، قال عليه السلام: «**واعتمدوا وضع التّذلّل على رؤوسكم، وإلقاء التّعزّز تحت أقدامكم، وخلع التّكبّر من أعناقكم، واتّخذوا التّواضع مسلحةً بينكم وبين عدوّكم إبليس و جنوده**»[4]، وقال عليه السلام في وصف المتقين: «**ومشيهم التّواضع**»[5].

ومنها كفّ اللسان عن الآخر، قال عليه السلام: «**والله ما أرى عبداً**

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٤٧.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٩٢.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ١٩٣.

يتّقي تقوى تنفعه حتّى يخزن لسانه»[1].

وقال عليه السلام: «**وإنّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السّلامة أن يرحموا أهل الذّنوب والمعصية، ويكون الشّكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الّذي عاب أخاه وعيّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذّنب الّذي عابه به، وكيف يذمّه بذنبٍ قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذّنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ممّا هو أعظم منه، وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصّغير، لجرأته على عيب النّاس أكبر، يا عبد الله لا تعجل في عيب أحدٍ بذنبه، فلعلّه مغفورٌ له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيةٍ فلعلّك معذّبٌ عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشّكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلي به غيره**»[2].

ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك**»[3].

ومنها المساعدة والمعونة سيّما في الشدائد وساحة الحرب،

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٣١.

قال عليه السلام: «**وأيّ امرئٍ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأشٍ عند اللّقاء، ورأى من أحدٍ من إخوانه فشلاً، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته الّتي فضّل بها عليه كما يذبّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله**»[1].

وكذلك مساعدة ومعونة الأيتام والجيران، قال عليه السلام: «**الله الله في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنّهم وصيّة نبيّكم صلى الله عليه وآله ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم**»[2].

ومنها قبول عذرهم وإقالة عثراتهم، قال عليه السلام: «**أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثرٌ إلا ويد الله بيده يرفعه**»[3].

ومنها إغاثته، قال عليه السلام: «**من كفّارات الذّنوب العظام إغاثة الملهوف، والتّنفيس عن المكروب**»[4].

ومنها عدم الاستماع إلى القدح فيه، قال عليه السلام: «**أيّها النّاس من عرف من أخيه وثيقة دينٍ وسداد طريقٍ، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، أما إنّه قد يرمي الرّامي وتخطئ السّهام، ويحيل الكلام، وباطل ذلك يبور...**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٤٧.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٦.

(٤) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٠.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ١٤١.

ومنها عدم البراءة منه إلّا بعد التثبت وفي نهاية المطاف، قال عليه السلام: «**فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، ومنه ما يكون عواريّ بين القلوب والصّدور إلى أجلٍ معلومٍ، فإذا كانت لكم براءةٌ من أحدٍ فقفوه حتّى يحضره الموت، فعند ذلك يقع حدّ البراءة**»[1].

ومنها انّه ربما يكون ميزاناً للحق والباطل، قال عليه السلام: «**واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا الّذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتّى تعرفوا الّذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتّى تعرفوا الّذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله، فإنّهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدّين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهدٌ صادقٌ، وصامتٌ ناطقٌ**»[2].

وقال عليه السلام: «**اتّقوا ظنون المؤمنين، فإنّ الله تعالى جعل الحقّ على ألسنتهم**»[3].

ومنها انّ الآخر ربما يكون مدعاة للشكر، قال عليه السلام: «**وأكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه، فإنّ ذلك من أبواب الشّكر**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه، الكتاب: ٦٩.

ومنها انّ معاشرة الآخر تسبب الصلاح، قال عليه السلام: «**قارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشّرّ تبن عنهم**»[1].

ومنها انّ التمسك بالآخر المهتدي سبب للنجاة، قال عليه السلام: «**رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، ودعي إلى رشادٍ فدنا، وأخذ بحجزة هادٍ فنجا**»[2].

وقال عليه السلام في أهل الذكر: «**يذكّرون بأيّام الله، ويخوّفون مقامه، بمنزلة الأدلّة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه، وبشّروه بالنّجاة، ومن أخذ يميناً وشمالاً ذمّوا إليه الطّريق وحذّروه من الهلكة، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظّلمات، وأدلّة تلك الشّبهات**»[3].

٥ـ الفرد المخالف الكافر أو الذمي:

الآخر المخالف ربما يكون كافراً فإذا كان محارباً لا شك في لزوم محاربته والوقوف أمامه، إما إذا كان مسالماً أو في ذمة الإسلام، فهنا لابدّ من التعامل معه برفق ولين طالما لم يصدر منه ما يخالف القواعد الإسلامية و ما يخالف الذمة، قال عليه السلام في كتابه للأشتر: «**وأشعر قلبك**

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٧٥.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٢١.

الرّحمة للرّعيّة والمحبّة لهم واللّطف بهم... فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين وإمّا نظيرٌ لك في الخلق»[1].

كما يجب الدفاع عنه عند ما يتعرّض لغارة أو مساءة، كما تألّم عليه السلام عند تعرّض نساء أهل الذمة للإساءة من قبل جيش معاوية، قال عليه السلام: **«ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام... فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً»**[2].

كما ينبّه عليه السلام إلى أنّ التعامل معهم لابدّ وأن يكون بحذر ومشوب بالشدة واللين مشيراً إلى لزوم ترك القسوة والظلم، فقد كتب إلى بعض عماله: **«أمّا بعد فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظةً وقسوةً، واحتقاراً وجفوةً ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللّين تشوبه بطرفٍ من الشّدّة، وداول لهم بين القسوة والرّأفة، وامزج لهم بين التّقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء»**[3].

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٢٧.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ١٩.

٦ـ الفرد المنافق أو الذي يكون من أهل الدنيا:

انّ الإنسان في تعامله وعلاقته مع الآخر المنافق أو المنغمس في الدنيا والأهواء، يجب عليه الاجتناب والحذر منه وعدم متابعته.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذّركم أهل النّفاق، فإنّهم الضّالّون المضلّون، والزّالّون المزلّون، يتلوّنون ألواناً، ويفتنّون افتناناً، ويعمدونكم بكلّ عمادٍ، ويرصدونكم بكلّ مرصادٍ قلوبهم دويّةٌ، وصفاحهم نقيّةٌ يمشون الخفاء، ويدبّون الضّراء وصفهم دواءٌ، وقولهم شفاءٌ وفعلهم الدّاء العياء حسدة الرّخاء، ومؤكّدوا البلاء ومقنطوا الرّجاء لهم بكلّ طريقٍ صريعٌ، وإلى كلّ قلبٍ شفيعٌ، ولكلّ شجوٍ دموعٌ يتقارضون الثّناء، ويتراقبون الجزاء إن سألوا ألحفوا، وإن عذلوا كشفوا و إن حكموا أسرفوا قد أعدّوا لكلّ حقٍّ باطلاً، ولكلّ قائمٍ مائلاً، ولكلّ حيٍّ قاتلاً، ولكلّ بابٍ مفتاحاً، ولكلّ ليلٍ مصباحاً يتوصّلون إلى الطّمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم يقولون فيشبّهون، ويصفون فيموّهون قد هوّنوا الطّريق، وأضلعوا المضيق فهم لمة الشّيطان وحمة النّيران، أولئك حزب الشّيطان ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون**»[1].

وقال عليه السلام: «**ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي لا أخاف على**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٤.

أمّتي مؤمناً ولا مشركاً، أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان، عالم اللّسان، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون»[1].

وكتب عليه السلام في عهده للأشتر: «**ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزيّن لك الشّره بالجور، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ**»[2].

وقال عليه السلام: «**وأنعم الفكر فيما جاءك على لسان النّبيّ الأمّيّ صلى الله عليه وآله ممّا لا بدّ منه ولا محيص عنه، وخالف من خالف ذلك إلى غيره، ودعه وما رضي لنفسه**»[3].

وقال عليه السلام: «**إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجلٌ وكله الله إلى نفسه، فهو جائرٌ عن قصد السّبيل، مشعوفٌ بكلام بدعةٍ ودعاء ضلالةٍ، فهو فتنةٌ لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدي من كان قبله، مضلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّالٌ خطايا غيره، رهنٌ بخطيئته. ورجلٌ قمش جهلاً، موضعٌ في جهّال الأمّة، عادٍ في أغباش الفتنة، عمٍ بما في عقد**

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١٥٣.

الهدنة، قد سمّاه أشباه النّاس عالماً وليس به»[1].

٧ـ الفرد العدو:

ليعلم انّ وجود الآخر العدو من الابتلاءات التي يبتلي الله تعالى بها عباده الصالحين، كما ذكر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية حيث قال له: «**وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجّةً على الآخر**»[2].

ثم انّ العلاقة مع الآخر العدو تختلف باختلاف الزمان والمكان فتارة يتعامل معه بالشدّة وتارة أخرى بالصفح والعفو ابتغاء الأجر، كما قال عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «**إن أبق فأنا وليّ دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربةٌ، وهو لكم حسنةٌ، فاعفوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم**»[3].

وفي سياق تشجيعه عليه السلام على العفو عن العدو عند القدرة عليه، وعندما يأمن الإنسان من جانبه يقول عليه السلام: «**إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه**»[4].

وكذلك معاملة العدو بالفضل كما قال عليه السلام: «**وخذ على عدوّك**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧.

(٢) المصدر نفس: الكتاب: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، الكتاب: ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، قصار الحكم: ٧.

بالفضل فإنّه أحلى الظّفرين»[1].

كما صنع هو عليه السلام لما غلب على الماء في أيام صفين ولم يمنع جيش العدو من الماء كما صنعوا هم في أول الأمر لما سيطروا على الماء حيث منعوا جيش المسلمين من الماء.

أما إذا كان الآخر العدو في ساحة الحرب، وبعد دخوله في مواجهة علنية، فهنا يجب الثبات والحزم والاستعداد الكامل، قال عليه السلام في وصيته يوصي بها الجيش: «**إيّاكم والتّفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرّماح كفّةً**[2]، **ولا تذوقوا النّوم إلا غراراً أو مضمضةً**»[3].

أما بعد الانتصار ووقوع الهزيمة بالعدو، يقول عليه السلام: «**فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريحٍ، ولا تهيجوا النّساء بأذًى**»[4].

إلى هنا انتهينا من تبيين كيفية العلاقة مع الآخر سواء كان مجتمعاً أو فرداً واحداً، وهذه العلاقة هي التي تحدّد مسير الإنسان وتدخله في

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) الكفّة: الدائرة، وكل ما استدار فهو كفّة.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١١.

(٤) المصدر نفسه، الكتاب: ١٤٠.

معسكر الخير أو الشر، وحسن العاقبة أو سوء العاقبة، بحيث حتى انّ الرضا والسخط بأفعال الآخرين لها دخل في مستقبل الإنسان الأخروي.

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أيّها النّاس، إنّما يجمع النّاس الرّضا والسّخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرّضا، فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ﴾ فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السّكّة المحماة في الأرض الخوّارة**»[1].

***

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠١.

- ٣ -

الشيطان

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً**﴾[2].

بعد التدبر في هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات التي تذكر الشيطان وعداوته للإنسان، كان لزاماً علينا الاهتمام بهذا الجانب ورسم خطة عمل في كيفية التعامل مع هذا العدوّ للتخلّص من وساوسه، إذ انّه حلف بعزة الله أن يغوينا بأجمعنا: ﴿**قالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[3].

---

(١) يس: ٦٠.

(٢) النساء: ١١٩.

(٣) ص: ٨٢.

ولـه طـرق مختلفـة في الإغـواء قـال عنهـا أمير المـؤمنين عليه السلام: «**الـشّيطان موكّـلٌ بـه، يـزيّن لـه المعـصية ليركبهـا، ويمنّيـه التّوبـة ليسوّفها**»[1].

وقال عليه السلام: «**إنّ الشّيطان يسنّي لكم طرقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدةً عقدةً، ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة**»[2].

وهكذا يستمر الـشيطان مـع الإنـسان حتـى يدخلـه في حزبـه، ويكون كمن قال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: «**أطاعوا الـشّيطان فـسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه**»[3].

وقال عليه السلام في وصف حزب الشيطان: «**اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكاً، واتّخذهم له أشراكاً، فباض وفرّخ في صـدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، وزيّن لهم الخطل**»[4].

وقال عليه السلام: «**دعـاهم ربّهـم فنفـروا وولّـوا، ودعـاهم الـشّيطان فاستجابوا وأقبلوا**»[5].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٦٣.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ٢.

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ٧.

(٥) المصدر نفسه، الخطبة: ١٤٤.

ثم انّ وظيفة الإنسان في تعامله مع هكذا عدو الحذر وعدم الاصغاء إليه، قال عليه السلام: «**فاحذروا عباد الله عدوّ الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزّكم بندائه وأن يجلب عليكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق إليكم بالنّزع الشّديد، ورماكم من مكانٍ قريبٍ، فقال ربّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين**»[1].

وقال عليه السلام: «**أوصيكم بتقوى الله الّذي أعذر بما أنذر، واحتجّ بما نهج، وحذّركم عدوّاً نفذ في الصّدور خفيّاً، ونفث في الآذان نجيّاً فأضلّ وأردى، ووعد فمنّى، وزيّن سيّئات الجرائم، وهوّن موبقات العظائم، حتّى إذا استدرج قرينته، واستغلق رهينته، أنكر ما زيّن، واستعظم ما هوّن، وحذّر ما أمّن**»[2].

كما يأمرنا عليه السلام بالاعتبار من حال إبليس وعدم الاغترار والاعتداد بالنفس بسبب إتيان الصالحات والخيرات والمبرات، ويقول: «**فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطّويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنةٍ لا يدرى أمن سني الدّنيا أم من سني الآخرة، عن كبر ساعةٍ واحدةٍ، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمرٍ أخرج به**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة: ٨٢.

منها ملكاً، إنّ حكمه في أهل السّماء وأهل الأرض لواحدٌ، ومـا بـين الله وبين أحدٍ من خلقه هوادةٌ في إباحة حمًى حرّمه على العالمين»[1].

***

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

ـ ٤ ـ
البيئة

هل الإنسان مسؤول أمام البيئة التي يعيش فيها، وهل سوف يسئل عن كيفية سلوكه وتعامله مع بيئته التي يسكن فيها؟!

لو نظرنا إلى الأمر من منظار الدين لقلنا نعم انّ الإنسان كما يلزم عليه رعاية ضوابط في سلوكه مع مجتمعه ومع الآخرين، كذلك يلزم عليه رعاية ضوابط في سلوكه وتعامله مع البيئة، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**اتّقوا الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسئولون حتّى عن البقاع والبهائم**»(١).

ولذا كتب عليه السلام في عهده للأشتر: «**وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارةٍ أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً**»(٢).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه، الكتاب: ٥٣.

وكان عليه السلام يكتب إلى من يستعمله على الصدقات بالنسبة إلى البهائم التي تؤخذ زكاة: «**فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقةٍ وبين فصيلها، ولا يمصر**[1] **لبنها فيضرّ ذلك بولدها، ولا يجهدنّها ركوباً وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفّه على اللاغب**[2] **وليستأن بالنّقب والظّالع**[3]**، وليوردها ما تمرّ به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق، وليروّحها في السّاعات، وليمهلها عند النّطاف**[4] **والأعشاب**»[5].

كما انّ البيئة آية من آيات الله تعالى تدلّ على وجوده وصفاته كما مضى ذلك.

إلى هنا ننهي الكلام عن العلاقة مع الآخر في ظلّ نهج البلاغة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

***

---

(١) المصر: حلب ما في الضرع جميعه.

(٢) اللاغب: ما أعياه التعب.

(٣) بعير نقب: دقيق الخف، والظالع: الذي ظلع أي غمز في مشيه.

(٤) النطاف: المياه القليلة.

(٥) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٥.

الفهرس

تمهيد ٥

١ ـ الخالق ٩

أ ـ الله تعالى هو المبدأ والمنتهى ٩

ب ـ معرفة الله تعالى ١٠

ج ـ الأنس بالله تعالى ١٦

د ـ الاستعانة بالله تعالى ١٧

هـ ـ حسن الظن بالله تعالى ١٨

و ـ العمل الصالح ٢٠

ز ـ الطاعة والعبودية ٢٥

ح ـ التقوى ٢٧

ط ـ الدعاء ٢٨

ي ـ الإيمان والإسلام ٢٩

٢ـ المخلوق ٣٧

أ ـ المجتمع الإنساني ٣٨

١ـ المجتمع الموالي ٤١
٢ـ المجتمع المتخاذل ٤٨
٣ ـ المجتمع المخالف (المفتتن) ٥١
ب ـ الفرد الواحد ٥٨
١ـ النبي أو الوصي ٥٨
٢ـ الحاكم العادل ٦٠
٣ـ الحاكم الظالم ٦٢
٤ـ الفرد الموالي ٦٣
٥ـ الفرد المخالف الكافر أو الذمي ٧٠
٦ـ الفرد المنافق أو الذي يكون من أهل الدنيا ٧٢
٧ـ الفرد العدو ٧٤
٣ ـ الشيطان ٧٧
٤ ـ البيئة ٨١
الفهرس ٨٣

***